(( ذكرى عاشوراء ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

قالَ رَسُولُ اللَّهِ : " لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا ". قَالَ: " قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ.

فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟

قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ.

قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، قَالَتْ: نَعَمْ.

فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلانَةُ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا.

قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً.

قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا.

قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ ".

قَالَ: " فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ: يَا أُمَّهْ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ "

قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ "

رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما 5/30 وصححه أحمد شاكر.

ألا إن سلعة الله غاليــة ..

ألا إن سلعة الله الجنة ..

ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ آل عمران: ١٤٢

مشهدٌ مخيف ، ومنظر رهيب تقشعر منه الأبدان!!

إنه فرعون ..! فرعون الذي طغى وبغى.

فرعون الذي سام بني إسرائيل سوء العذاب.

فرعون الذي بلغ طغيانه وفساده وعناده عنان السماء.

فرعون الذي ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ القصص: ٤

فرعون الذي آتاه الله الملك فبغى وعتا عتواً كبيراً.

فرعون الذي تقلب في اللذة حتى أسكرته ،

وفتن بالملك حتى إذا أطل برأسه من نافذة قصره

فرأى الماء يجري من تحته تبختر وتجبّر ونادى

ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﭼ

الزخرف: ٥١

ثم يقول متهكماً بكليم الله موسى :

ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الزخرف: ٥٢

ﭽ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ الزخرف: ٥٤

وطال ليل الألم على المستضعفين ، فقد قتّل الرجال واستبقى النساء ، وتألمت قلوب المؤمنين ،

فكم في مُلْكِ فرعون من الأسر المكلومة بقهره ، والأنفس المظلومة ببطشه.

وبعد ما بلغ السيل الزبى، وعتا فرعون عتواً كبيراً، جاء الوعد الإلهي قال تعالى:

ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ

الزخرف: ٥٥

واقترب الوعد الحق فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ طه: ٧٧ ومن هنا بدأت قصة الانتقام ، فخرجت المجموعة المؤمنة في جنح الليل على حين غرة من فرعون وجنده ، فلما علم فرعونُ بخروجهم حنق عليهم، واشتد غضبه، فجيَّش جيشه، وحشد خيله ورَجِلَهُ قال الله: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ الشعراء: ٥٣ - ٥٦

وفي مشهد مرعب، أدرك الجنود الفئة المؤمنة الهاربة في منطقة محصورة ، فالبحر من أمامهم، والآلاف من جنود فرعون من خلفهم، فلا مهرب ولا مناص

ﭽ **ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ** ﭼ الشعراء: ٦١

حينها زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر ، وأصبح جنود فرعون قاب قوسين أو أدنى من موسى وقومه وهنا ارتفعت الأصوات بالعتاب والاستنجاد،

يا كليم الله أين تدبيرك؟!

يا موسى أين وعدك؟ يا موسى ادع ربك!

حقا إنه موقف عظيم..

تطير فيه العقول، وتقشعر الأبدان..

يا موسى إنا لمدركون!

يا موسى البحر أمامنا ، والجيش الفرعوني وراءنا! ولسان حال موسى يقول:

لا الأمر أمري ولا التدبير تدبيري

ولا الشؤون التي تجري بتقديري

وإذا بموسى يفاجئهم بقوله: ﭽ **ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ** ﭼ الشعراء: ٦٢

إذا اعتاد الفتى خوضَ المنايا

فأسهل ما يمر به الوحول

فأنا على يقين إلى آخر لحظة وطرفة عين بأن الدنيا كلها لو اجتمعت على أن يضروكم بغير ما كتب الله ما استطاعوا!

واقترب فرعونُ وجنودُه وموسى ينادي :

ﭽ **ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ** ﭼ الشعراء: ٦٢

فمهما بلغت قوتهم، فإن معنا من هو أقوى من كل قوي، معنا من هو أعظم من كل عظيم، معنا الله وكفى بالله كفيلا ، وكفى بالله وكيلا، معنا الله القوي المانع، معنا الله الباسط القابض،

معنا من توكل عليه كفاه، ومن احتمى بحماه حماه، معنا من لاذ بجنابه نجاه، إنه الله.. إنه الله..

إنه الله ربي مَعِيَ وسَيَهْدِينِ، وجاء الفرج في آخر لحظة عندما بلغت القلوبُ الحناجر ،

وامتحنت حق الامتحان، عندها جاء الفرج ﭽ  **ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ** ﭼ الشعراء: ٦٣

فضرب موسى البحر فكان العجب العجاب،

كان الأمر الذي لا يخطر بالبال:

ﭽ **ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ** ﭼ الشعراء: ٦٣

انفلق البحر، وارتفعت الأمواج وتجمدت كأنها جبال شامخة ، فدخل المؤمنون في البحر يمشون.

لا إله إلا الله! أي معجزة هذه؟!

كرامة ما بعدها كرامة ، عجباً!

البحر بأمواجه المتلاطمة يقف كالجبال عن اليمين والشمال طائعًا لأمر الله!

الله أكبر!

كأني بالمؤمنين تطأ أقدامهم المنهكة البحر الذي تذلل بأمر الله لهم، فلما جاوزوا البحر أراد موسى أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان،

فقال الله له: ﭽ **ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ** ﭼ الدخان: ٢٤ أي دعه ساكنًا على هيئته.

فلما جاوزه موسى تبعه فرعون وجنوده في البحر فانطبق البحر وثارت الأمواج ترفعهم تارة وتخفضهم تارة.

وموسى وقومه ينظرون إلى فرعون المتجبر الذي كان بالأمس يتحدى ويتعدى ﭽ **ﭹ ﭺ ﭻ** ﭼ النازعات: ٢٤

فلما رأى فرعون الهلاك وأوشك على الموت والغرق وكشف الله حاله في البحر فقال:

ﭽ **ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ** ﭼ يونس: ٩٠ .

وهكذا ذهب القاتل والمقتول ..

ومات الساجن والمسجون ..

وهلك الظالم والمظلوم ..

وعند الله تجتمع الخصوم..

أقول قولي هذا وأستغفر الله ..

الثانية

إنه يوم عاشوراء ..

يوم عاشوراء جاءنا يذكّرنا بمصير الطغاة والمجرمين.

عاشوراء يذكرنا بمصير الخائنين الظالمين

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الدخان: ٢٥ - ٢٩

إنه يوم عاشوراء الذي جعله الله ذكرى للمؤمنين وهم يشاهدون مصارع الأعداء وماذا يفعل الله بهم

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ إبراهيم: ٤٥

فالظالم مهما بغى وطغى فإن الله له بالمرصاد ، فيوم عاشوراء جاء يقول لنا إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته فتأمل كم عاشَ بنو إسرائيلَ في الفساد والإفساد والبغي والعناد ، أطفالٌ تُذبَّح وتُيتَّم، ورجالٌ تُقهر ، وتُسجن ، وتُقتل ،

وامرأةٌ تُرمل وتُعذّب، ودمع يتهطل، والطاغية فِي غيّه سادر، وفِي سلطانِه قاهر، يحارب دعوة الأنبياءِ، ويدَّعي أنه ربُّ الأرض والسماء، قد غرَّه طول الأمل، وبفتنة الدنيا انشغل ، ونسي أنَّ لعنة الله أدركته ،

فلم يفق من سكرة الملك الذي به طغى وبغى ، والدنيا التي في شهواتها غفل وسهى ، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر قال تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ

النازعات: ٢٥

فالله يمهل ولا يهمل.

ﭽ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ إبراهيم: ٤٢

يوم عاشوراءُ يحدثنا عن الفرجِ والفأل وحسن الظن بالله ، ففي غمرةِ الشعورِ باليأسِ، وظلمة الحال والفعال والمقال يأتي عاشوراء فيقذِف فِي القلوبِ الأملَ والتفاؤل.

فما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ.

فعاشوراء ينادي المؤمنين: أنَّ الله مع عبادِه المؤمنين، لا يخفى عليه شيءٌ من أمرهم، وأنَّ كلَّ ما فِي هذا الكونِ هو مُلكٌ لله ، بحرِه وبره ، أرضِه وسمائِه ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب.

إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها

فالصبرُ يَفْتَحُ منها كلَّ ما ارتَتَجا

لا تيأَسَنَّ وإنْ طالتْ مطالبَةٌ

إذا استعنتِ بصبر أن ترى فَرَجا

فعاشوراء يقول : إن القادم جميل ، وإنها محنٌ تعقبها منح ، وبلايا من خلفها عطايا فكن متفائلاً واثقاً بوعد الله ، فمن عاش بلا تفاؤلٍ ولا أمل ، سقط بلا نهوض ، وفشل بلا نجاح .

إنه يوم عاشوراء الذي يذكرنا بنعمة الشكرُ فموسى قابل النعمة بالشكر ، فصام عاشوراء شكراً لله على النصر والتمكين ،وكم نحن بحاجة أن نشكر الله تعالى على نعمٍ تغمرنا من فوقنا ومن تحتنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ،

وفي أهلينا وفي بلادنا وفي أمننا وفي علمائنا وفي ولاة أمرنا ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ النحل: ١٨

فصام النبي عاشوراء اقتداءً بنبيّ الله موسى بشكره لربه وندب أمته إلى صيامه ،

وقال عن صيام يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية فمن صام الخميس وهو العاشر من شهر الله المحرم فحسن ، ومن صام الأربعاء والخميس فهو أحسن مخالفة لأهل الكتاب ، واعلم رعاك الله أنك في شهر الله المحرم الذي قال فيه نبيك : «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ" رواه مسلم من حديث أبي هريرة >

أسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

تمت ..